اللطائف التفسيرية
عند الإمام الصابونى / سورة البقرة

م.م. اكرام نوري مصطفى
Ikram.n@ihcoedu.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

الملخص

الحمد لله الكريم الاكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) وبعد :

فان مما لا يخفى على كل لب ان العلوم الشرعية الغراء لها أهمية بالغة في حياة المسلم إذ انها سبّ في اضاءة النور له، ومن العلوم الشرعية التي يحتاجها الناس عمومًا والعلماء خصوصًا، علم التفسير: فهو بيان معاني الكلمات القرآنية الكريمة وان معرفة معاني الكلمات القرآنية له الأثر الكبير في نفوس طلبة العلم، كما أن التفسير ينبغي ان يكون بعيدًا عن الاهواء والتعصب والغلو فالمفسر يجب ان يكون عالمًا بالعلوم الشرعية النقلية والعقلية لكي يكون عرافًا بما يقول، لذلك كله رجوت ان اتعرف على كيفية تناول المفسرين لمعاني القرآن الكريم وبيانها، فكان بحثي تحت عنوان (اللطائف التفسيرية عند الإمام الصابوني في سورة البقرة انموذجًا – جمعًا ودراسة).

وقد قسمت بحثي بعد هذه المقدمة على مبحثين: المبحث الأول : تناولت فيه مفهوم اللطيفة في اللغة وفي الاصطلاح، والمبحث الثاني تناولت فيه اللطائف التفسيرية في سورة البقرة .

وفي الختام هذا مبلغي من العلم والعمل لا يخلوا من التقصير فهو عمل بشري يشوبه الخطأ والتقصير، اذ الكمال لله سبحانه وحدة، ورحم الله ما اهدي لي خطأي لا تجنبه وعيبي لا غيره، والحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

الكلمات المفتاحية: اللطيفة، التفسير، الصابوني

Interpretive subtleties by Imam al-Sabuni / Surat al-Baqarah

M.M. Ekram Nouri Mustafa
University of Baghdad / Ibn Rushd College of Education for Humanities/ Department of Quranic Sciences

Abstract

It is not hidden from every mind that the noble Islamic sciences have great importance in the life of a Muslim, as they are a means of

illuminating the light for him. Among the Islamic sciences that people in general and scholars in particular need is the science of interpretation: it is the explanation of the meanings of the noble Qur'anic words, and knowing the meanings of the Qur'anic words has a great impact on the souls of students of knowledge. Interpretation should also be far from whims, fanaticism and extremism. The interpreter must be knowledgeable in the transmitted and rational Islamic sciences in order to be knowledgeable about what he says. Therefore, I hoped to learn about how interpreters deal with the meanings of the Holy Qur'an and explain them. My research was entitled (Interpretive Subtleties of Imam al-Sabuni in Surat al-Baqarah as a Model - Collection and Study.

المبحث الأول : مفهوم اللطائف في اللغة وفي الاصطلاح

المطلب الأول : اللطيفة في اللغة

جاءت من اللطافة واللطف عن الحركات الخفية وعن إمكانية تعاطي الحروف الخفية الدقيقة ويمكن التعبير عنها بما لا يدرك بالحواس[١]، وقيل الأصل في اللطيفة هي كل ما خفي معناه أو غمض[٢] .

المطلب الثاني: اللطيفة في الاصطلاح

اللطائف هي إشارات دقيقة المعاني تلوح للهم من غير أن تسمعها العبارات[٣].

وقيل في مفهوم اللطائف التفسيرية: علم ذكره المفسرون في تفسيراتهم يحمل دلالة على رقة المعاني الناتجة عن استنباطهم للمعاني من الآيات القرآنية الكريمة إذ أنها مفردات قرآنية تحمل في طياتها معانٍ خفية[١] .

[١] ينظر: الراغب الاصفهاني وجوده في اللغة : عمر عبد الرحمن السارسي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة عشر، العدد الثاني والخمسون، ١٤٠١هـ /٢٠٠١م : ٣٢٢/٣، وكتاب العين، ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٥٢٢/٣.

[٢] ينظر: تهذيب الغة ، محمد بن احمد بن الازهري الهروي ابي منصور (ت٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م : ٦٦٣/٣، والجيم: ابي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني بلولاء (ت٢٠٦هـ) تحقيق: إبراهيم الايباري، مراجعة: محمد خلف احمد، المطابع الاميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م : ١٣٤/٢ .

[٣] ينظر: التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) تحقيق وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م:١٩١/١ .

المبحث الثاني :

اللطائف التفسيرية في سورة البقرة

المطلب الأول : الحروف المقطعة

إن المتدبر للقرآن الكريم يجد فيه الكثير من الاسرار التي استاثرها الله تعالى له ولم يبين المراد منها لاحد من خلقه حتى من الأنبياء والرسل وقبل ان أبدأ الحديث عن الحروف المقطعة كان لزامًا على أذكر النص الوارد واستخراج منه المضمون، بقوله تعالى : ﴿الٓمٓ لخ لم لى لي مج محمخ ممىي مي نج﴾ [٢]

قال الإمام الصابوني (رحمه الله تعالى) "ألف حرف ولام حرف تنبيها على أن المعتبر في عدد الحسنات الحروف المقروءة التي هي المسميات سواء كانت أجزاء لها أو لكلمات أخر لا من حيث إنها أجزاء لتلك الأسماء فيكون عدد الحسنات في نحو ضرب ثلاثين، والحاصل أن الحروف المذكورة من حيث إنها مسميات تلك الأسماء أجزاء لجميع الكلم مفردة بقراءتها ومن حيث إنها أجزاء تلك الأسماء لا تكون مفردة إلا عند قراءة تلك الأسماء والمعتبر في عدد الحسنات الاعتبار الأول دون الثاني ذكر ذلك بعض المحققين ثم إنهم راعوا في هذه التسميةلطيفة حيث جعلوا المسمى صدر كل اسم له ليكون تأديتها بلمسمى اول ما يقرع السمع"[٣].

ورأي المفسرين في الاية الكريمة التي وردت فيها اللطيفة اجمع الجمهور من المفسرين في بيان الحروف المقطعة في أوائل السور على أنها وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه، وهو سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها .[٤]

[١] ينظر: اللطائف التفسيرية عند الإمام الرازي المتوفي (سنة ٦٠٦هـ) في تفسيره(مفاتيح الغيب جمعاً ودراسة) أطروحة دكتوراه في جامعة الانبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، للباحث: عثمان جميل محمد صالح القيسي، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م : ص٥ .

[٢] سورة البقرة، الآيتين : ١ – ٢ .

[٣] ينظر: صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م: ١٠٢/١.

[٤] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م: ٢٤٦/١، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، ابي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت١٠٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ: ٨٠/١، وتفسير القرآن، ابي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن احمد المرزوي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ٨٥/١، اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ

بيان اللطيفة : بعد الاطلاع على آراء المفسرين وجدتُ ان الإمام الصابوني (رحمه الله تعالى) قد انفرد عن المفسرين في بيان اللطيفة حيث سلك المسلك اللغوي في بيانها واتجه نحو فضل قراءتها ففي كل حرف من حروف القرآن عشر حسنات عند اللفظ بها أما سائر المفسرون ذهبوا الى المراد بمعناها فقد اجمعوا على انها من الأمور التي استاثرها الله بعلمه وهي سر الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سر فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب ان يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت [١].

الفوائد المستنبطة من الآية التي وردت فيها اللطيفة :

يتجلى الإعجاز الرباني في بيان المعنى القرآني ففي هذا السياق نستنبط فوائد عظيمة ومنها :

١ – ان الإنسان ممها بلغ من العلم والفصاحة فهو عاجز إمام السياق القرآني والكلام الرباني لان اسراره لا منتهى لها .

٢ – اعجز المشركين من العرب على الرغم مما يتميزون به من فصاحة وبلاغة ومن النظم والسياقات الشعرية .

٣ – ان الأمور الغيبية لا يعلمها الا الله تبارك وتعالى ولا ينبغي لاحد ان يتكلم بها ما لم يأتيه وحيّ من السماء وهذه خاصة للرسل والانبياء فقط فهم لا يعلمون الغيب أبدًا وهذا رد على المغالين في الأنبياء والرسل بأنهم يعلمون كل شيء [٢].

المطلب الثاني: الظلمات والنور

ان المتدبر لكتاب الله تبارك وتعالى يجد فيه درر وكنوز مما استدل بها او استخرجها علماء التفسير، وقبل ان ابدأ بالحديث عن الظلمات والنور كان لزامًا علي ان اتي بالنص الوارد في ذلك واستخراج المضمون منه بقوله تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [٣]

ان المتدبر لكتاب الله تبارك وتعالى يجد فيه درر وكنوز مما استدل بها او استخرجها علماء التفسير، وقبل ان ابدأ بالحديث عن الظلمات والنور كان لزامًا علي ان اتي بالنص الوارد في

عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م: ١٩٢/١، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م : ٧٥/١.

[١] ينظر: تفسير البغوي: ٨٠/١، وروح المعاني للالوسي: ١٠٢/١.

[٢] ينظر: تفسير البغوي: ٨٠/١، وروح المعاني للالوسي: ١٠٢/١.

[٣] سورة البقرة، الآيتين : ١ – ٢ .

ذلك واستخراج المضمون منه بقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[١].

قال الإمام الصابوني (رحمه الله تعالى) : تقابل الإيجاب والسلب وجمع الظلمات إما لتعددها في الواقع سواء رجع ضمير الجمع إلى المستوقدين أو المنافقين أو لأنها في الحقيقة، وإن كانت ظلمة واحدة لكنها لشدتها استعير لها صيغة الجمع مبالغة- كما قيل رب واحد يعدل ألفا- أو لأنه لما كان لكل واحد ظلمة تخصه جمعت بذلك الاعتبار كذا قالوا «ومن اللطائف» أن الظلمة حيثما وقعت في القرآن وقعت مجموعة والنور حيثما وقع وقع مفردا، ولعل السبب هو أن الظلمة وإن قلت تستكثر والنور وإن كثر يستقل ما لم يضر، وأيضا كثيرا ما يشار بهما إلى نحو الكفر والإيمان والقليل من الكفر كثير والكثير من الإيمان قليل فلا ينبغي الركون إلى قليل من ذاك ولا الاكتفاء بكثير من هذا، وأيضا معدن الظلمة بهذا المعنى قلوب الكفار ومشرق النور بذلك المعنى قلوب المؤمنين. وهي كقلب رجل واحد[٢].

استدل بقوله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣].

وجه دلالة:

في الآية الكريمة واضحة على ان الله تبارك وتعالى هو نور السموات والأرض أي انه هدى السموات والأرض وما فيهن فهم بنوره إلى الحق يهتدون[٤] .

رأي المفسرين في الآية الكريمة التي وردت فيها اللطيفة:

يخبر الله تعالى عن مثل المنافقين، الخبر عن مثل استضاءتهم بما اظهروا بالسنتهم من الإقرار وهم لغيره مبطنون من اعتقاداتهم الردينة، وتأويل ذلك مثل استضاءة المنافقين بما اظهروه من الإقرار بالله تعالى وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) وبما جاء به قولا وهم به مكذبون اعتقاد، كمثل الموقد نارا ثم اسقط ذكر الاستضاء واضيف المثل اليهم وتقدير هذا المثل ان الله سبحانه وتعالى شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة الى العمى بمن استوقد نارا فلما

[١] سورة البقرة، الآية : ١٧ .
[٢] ينظر: صفوة التفاسير: ١/١٧٠ .
[٣] سورة النور، الآية:٣٥
[٤] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي، أبو جعفر الطبري (ت٢١٠هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م : ١٧/٢٩٥.

أضاءت ما حوله واتنفع بها وأبصر ما عن يمنيه وشماله وتأنيس بها فبينا هو كذلك طفنت ناره وصاره في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي وهو قول جمهور المفسرين[١] .

بيان اللطيفة:

بعد الاطلاع على كتب التفاسير والتمعن بها وجدت ان تفسير الإمام الصابوني لهذه اللطيفة موافق لتفسير العلماء وكيف ان الله سبحانه وتعالى ضرب مثلا عن المنافقين ومخالفتهم النبي (صلى الله عليه وسلم)، يقول الحق سبحامه وتعالى :﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[٢].ذلك انهم في الحيرة التي تملأ قلوبهم، كانوا قد سمعوا ان زمن نبي جديد قد اتى، فقرروا ان يؤمنوا به، ولكن إيمانهم لم يكن عن رغبة في الإيمان، ولكنه في محاولة الحصول على امان دنيوي[٣] .

الفوائد المستنبطة من الآية التي وردت فيها اللطيفة :

تتجلى عظمة الله تبارك وتعالى في هذه الآبة الكريمة تجليًا واضحًا مما تحمل في طياتها من فوائد ولعل أبرزها :

١ – ان الله تعالى يضرب الأمثال في القرآن الكريم لكي يفقهوا قوله فإن المثل يقرب المعنى للأذهان، وبه تقام الحجة والبرهان ويزول به اللبس عن الأذهان وترتفع به الغشاوة عن الجنان فيتنفع به أهل العلم جميعًا .

٢ – في الآية المباركة شبه الله تعالى من اشتراء الضلالة بالهدى بمن استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها طريقه وما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينا هو على هذا الحال اذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي طريقه .

٣ – ان حال المنافقين كحال من اوقد نارًا ثم انطفأت فجأة فاصبح في حيرة من أمره لا يحسن المكوث في مكانه زمناً طويلاً ولا يهتدي الى طريق ينجيه مما هو فيه فبالحالتين هو هالك لا محال [٤].

المعنى العام للآية التي وردت فيها اللطيفة:

[١] ينظر: جامع البيان للطبري: ٣١٩/١، وتفسير القرآن لابن كثير: ٢٩٦/١، ونكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ابي العباس البسلي التونسي (ت٨٣٠هـ) مما اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الامام ابن عرفه (ت٨٠٣هـ) وزاد عليه وذيله : محمد الطبراني، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م : ١٧٤/٤.

[٢] سورة البقرة، الآية : ١٧ .

[٣] ينظر: تفسير الشعرواي، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ) الناشر: مطابع اخبار اليوم : ١٧١/١ .

[٤] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٩٦/١، وتفسير عبد الرزاق، ابي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ) نشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطكبعة الأولى، ١٤١٩هـ: ٤٥٧/١.

مما يلاحظ في النص القرآني الكريم لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميماً للبيان، وفي ضرب الأمثال شأن ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين، وحال الغائب كانه شاهد وفيه تبكيت للخصم الالد، ولامر ما أكثر الله تعالى في كتبه وقد استعير المثل هنا للحال أو الصفة أو القصة التي فيها غرابة ولها شأن، شبهت حالهم العجيبة الشأن من حيث أنهم أوتوا ضربًا من الهدى بحسب الفطرة، وعندما نطقت به ألسنتهم من كلمة الإسلام ودخلوا فيه ظاهرًا فحقنوا دماءهم وأموالهم عاجلاً ثم لم يتوصلوا بذلك إلى نعيم الابد باستبطانهم الكفير فيؤل حالهم إلى أنواع الحسرات وأصناف العقوبات التي يستحقونها بحال الذي استوقد نارًا في توجه الطمع الى تحقق المطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة سريعًا لانقلاب الأسباب[١].

فالمراد بالذي استوقد اما جمع أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارًا ولولا عود الضمير الى الذي مجموعًا في قوله تعالى : (بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ) لم يحتج إلى التكلفات المذكورة، على أنه يمكن أن يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو،﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[٢] ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها، وأوقدتها أنا واستوقدتها أيضا. والنار جوهر لطيف مضيء حارّ محرق، والنور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور إذا نفر، لأن فيها حركة واضطرابا والإضاءة فرط الإنارة: ﴿ جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا ﴾[٣] وهي في الآية متعدية، ويحتمل أن تكون غير متعدية، مسندة إلى ما حوله، والتأنيث للحمل على المعنى، لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء، أو يستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن «ما» مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة، و«حوله» نصب على الظرف، وتأليفه للدوران والإطافة، والعام حول لأنه يدور. وجواب «لما ذهب الله بنورهم» فالضمير يعود إلى الذي استوقد نظرا إلى المعنى، كما أن الضمير في «حوله» راجع إليه من حيث اللفظ[٤].

قيل: الأولى أن يقال: جوابه محذوف مثل فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من الذكر في أداء المعنى، كأنه قيل: فلما

[١] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ : ١٧٢/١، وتفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ: ٥٨/١.

[٢] سورة الجمعة، من الآية : ٥ .

[٣] سورة يونس، من الآية : ٥ .

[٤] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٧٣/١، وتفسير التستري: ٦٢٢/٣.

أضاءت ما حوله كان ما كان من حصولهم خابطين في ظلام متحيرينخائبين فيها بعد الكدح في إحياء النار. ثم إن سائلا كأنه يسأل: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقيل له: ذهب الله بنورهم أي بنور المنافقين، وعلى هذا يحتمل أن يكون الذي مفردا، ويمكن أن يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان أي مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، وكمثل الذي ذهب الله بنورهم. ومعنى إسناد الفعل إلى الله أنه إذا أطفئت النار بسبب سماوي كريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد، أو يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله. ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام، وتلك النار، متقاصرة مدة اشتعالها وإضاءتها، فمنافعها الدنيوية قليلة البقاء، وللباطل صولة، ثم تضمحل، ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت[١].

المطلب الثالث : الوفاء بالعهد

من المسائل التي اهتم بها الشرع الإسلامي هي مسألة الإيفاء بالوعود فترى الكثير من النصوص في القرآن الكريم تحث على مسألة الإيفاء بالعهود وقد ضرب لنا أمثال في هذا الأمر من خلال القصص الواردة في القرآن الكريم ومنها ما خاطب الله به نبي إسرائيل بقوله : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [٢] .

قال الإمام الصابوني (رحمه الله تعالى) : "من اللطائف في هذه الآية الكريمة ان الله سبحانه وتعالى اشهد بني إسرائيل فضل انفسهم واشهد المسلمين فضل نفسه فشتان من مشهوده فضل ربه، ومن مشهوده فضل نفسه فالأول يقتضي الفناءوالثاني يقتضي الإعجاب والحمد لله الذي فضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا " [٣].

رأي المفسرين في الآية الكريمة التي وردت فيها اللطيفة :

يبين الله تبارك وتعالى في الآية الكريمة كيف كانت النعمة حين انجى الله تعالى بني إسرائيل من آل فرعون وأهلك عدوهم وحين فرق البحر لهم، وحين انزل عليهم المن والسلوى وحين ظل عليهم الغمام بالنهار من حر الشمس وجعل لهم عموداً من نور يضيء بالليل وذلك التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف في حق الأبناء ثم بعد ذلك امروا بتقوى الله وطاعته واخشوا عقاب يوم لا تقضي نفس عن نفس شيئاً وذكروا هذه النعم التي انعم الله تعالى عليكم أي اذكروها بالتفكر فيها والقيام بشكرها وهو قول جمهور المفسرين[٤] .

[١] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١٧٣/١، وتفسير التستري: ٦٢٢/٣.
[٢] سورة البقرة، الآية: ٤٠ .
[٣] صفوة التفاسير: للصابوني: ٢٥٢/١.
[٤] ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ : ١٠٠/١، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر

بيان اللطيفة :

بعد التبحر والنظر في كتب المفسرين وجدت ان ما ذهب إليه الإمام الصابوني في بيان هذه اللطيفة قد وافق تفاسيرهم لها حيث ذهبوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [١]، مقصود به كفارهم ومنافقوهم ومن كان من اشياعهم من عبدة الاوثان على ضلالهم، وقد أوجب الله تعالى الوعد والدم والتوبيخ، كل من كان على سبيلهم ومناهجهم من جميع الخلق واصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي[٢] .

الفوائد المستنبطة من الآية التي وردت فيها اللطيفة:

١ – تهدف الآية الكريمة إلى تذكير بني إسرائيل بنعمة الله عليهم والتفكر بها .

٢ – وقال في الآية أمر بني إسرائيل بذكر النعمة حتى لا يجحدوا نعم عليهم وفي ذلك تهذيب لنفوسهم .

٣ – ان نعم الله تعالى على العباد لا تقتصر على الأمور الظاهرية فقط وانما تشمل سائر النعم التي ذكر في هذه السورة بعضها، والمراد ذكرها بالقلب اعترافاً وباللسان ثناء وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضاه .

٤ – امر الله تبارك وتعالى بني إسرائيل الامتثال لامره بالوفاء بما عاهدهم عليه ووعدهم بالجنة التي هي دار الطائعين .

المعنى العام للآية التي وردت فيها اللطيفة :

ان إسرائيل هو نبي الله يعقوب (عليه السلام) لقب له، ومعناه في لسانهم صفوة الله، وقيل عبد الله وهو بزنة إبراهيم وإسماعيل غير منصرف لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل وذكرهم النعمة: ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظمونها، واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق. ومن العفو عن اتخاذ العجل، والتوبة عليهم وغير ذلك، وما انعم به عليهم من إدراك زمن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المبشر به في

بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ :٧٥/١.

[١] سورة البقرة، الآية: ٢٧ .

[٢] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: ٤١٣/١، باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن: محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (ت بعد ٥٥٣هـ)، المحقق (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة حرسها الله تعالى، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م : ٥١٢/٤.

التوراة والإنجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعًا، يقال : اوفيت بعهدي بما عاهدتُ عليه بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فرهبون فلا تنقضوا عهدي [١] .

الخاتمة

بعد حمد الله تبارك وتعالى وتوفيقه لي لإكمال كتابة هذا البحث المتواضع، والتي قضيتُ فيها وقتًا ممتعاً وانا اقلد صفحات كتب تفسير القرآن الكريم، واتطلع على مفردات معاني القرآن الكريم وما فيه من كنوز واسرار، فهي رحلة ممتعة، فيطيب لي ان اضع بين يدي القارى الكريم اهم النتائج التي توصلتُ إليها:

١ – اللطيفة في اللغة : جاءت من اللطائف واللطف عن الحركات الخفية وعن إمكانية تعاطي الحروف الخفية الدقيقة ويمكن التعبير عنها بما يدرك بالحواس .

٢ – اللطائف هي إشارات دقيقة المعاني تلوح للفهم من غير ان تسعى العبارات .

٣ – ان حياة الإمام الصابوني (رحمه الله تعالى) زاخرة بالعلم اذا انه نشأة في اسرة علمية فكان والده رحمه الله من كبار العلماء مما جعل ابي الثناء الالوسي ان يكون بارزًا بارعًا في الوسط العلمي .

وفي الختام هذا مبلغي من العلم والعمل لا يخلو من التقصير فهو عمل بشري يشوبه الخطأ والتقصير، اذ الكمال لله سبحانه وحده، ورحم الله ما اهدي لي خطاي لاتجنبه وعيبي لاغيره .

والحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٢. إيجاز البيان عن معاني القرآن: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

٣. باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن: محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (ت بعد ٥٥٣هـ)، المحقق (رسالة

[١] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ :١٣٠/١، و إيجاز البيان عن معاني القرآن: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ : ٦٢٧/٣.

علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة حرسها الله تعالى، عام النشر: ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

٤. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) تحقيق وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ

٦. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ) الناشر: مطابع اخبار اليوم .

٧. تفسير القرآن، ابي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن احمد المرزوي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٨. تفسير عبد الرزاق، ابي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ) نشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطكبعة الأولى، ١٤١٩هـ

٩. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ

١٠. تهذيب الغة ، محمد بن احمد بن الازهري الهروي ابي منصور (ت٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

١٢. الجيم: ابي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني بلولاء (ت٢٠٦هـ) تحقيق: إبراهيم الايباري، مراجعة: محمد خلف احمد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م .

١٣. الراغب الاصفهاني وجوده في اللغة : عمر عبد الرحمن السارسي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة عشر، العدد الثاني والخمسون، ١٤٠١هـ /٢٠٠١م .

١٤. صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٥. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

١٦. كتاب العين، ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ

١٨. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

١٩. اللطائف التفسيرية عند الإمام الرازي المتوفي (سنة ٦٠٦هـ) في تفسيره(مفاتيح الغيب جمعاً ودراسة) أطروحة دكتوراه في جامعة الانبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، للباحث: عثمان جميل محمد صالح القيسي، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م .

٢٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، ابي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت١٠٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ:.

٢١. نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ابي العباس البسلي التونسي (ت٨٣٠هـ) مما اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الامام ابن عرفه (ت٨٠٣هـ) وزاد عليه وذيله : محمد الطبراني، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٢٢. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م .